على سبيل
أعلام الشهداء
٢١
أبو محمد الجزائري
[رحمه الله]

أبو محمّد الجزائري

هو التّقيّ النّقيّ، والعسكريّ الشّجاع، بل والجريئ المُتهوّر، طاهرُ السّريرة (كتابٌ مفتوح)، متى شئتَ قرأتَهُ، لا لَبْسَ في حروفه ولا معانيه.

وصلَ إلى بلاد الرّافدين قبل الفلّوجة الأولى، ونزلَ على الشّيخ عثمان المعاضيدي، ولأن الشيخ رحمه الله وأسكنهُ فسيحَ جنّاته، كانَ مجاهداً صوفيّاً، وصاحبي سلفيٌّ متشدّد طلبَ أن يَسكُنَ هو وعبد الهادي اليمني مع بعضهما في شقّة لحالهما وقد كان، ودارت الفلوجة الأولى، واشتدّت رحاها.

وبينما نحنُ في الجولان رأيتُ شابّاً نحيفاً طويلاً، به صَلَعٌ خفيفٌ يحملُ البكتا الروسي (جرينوف ثقيل). وقد حوّرها عسكريّوا العراق لتستخدم مثل الـB.K.C وجاءَ مع المَدَد الذين هبّوا لمُساعدة إخوانهم في الجولان.

ولما جاءت السّمتية، تقدّم أسدُ الجولان (سابق الذكر) أبو ناصر اللّيبي إلى ساحة مفتوحة وبدأَ يُمطرها بوابل من رشّاشة البيكا.

وقد كانت عادتي أن أرفعَ من همّة الأبطال حتّى يلحقوا به ولتكون هناك غزارةٌ ناريّة، ولكنّي فوجئتُ بهذا الشّاب يخرج من غمار الناس مكبّراً ثمّ اتّخذَ مَكَانَهُ وبدأَ يُمْطر السمتية (الطائرة الهليكوبتر) بوابل من الإطلاقات وهو يُكبّر ويُكبّر. وفجأةً كَبّرَ الجميع ثمّ شاهدت دخاناً أبيضاً انبعث من مؤخرة الطائرة وبَدَأَتْ تهوي إلى الجحيم.

فتقدمتُ من الرّجل الأسد، وقلتُ له جزاكَ اللهُ خيراً، فوالله ما قَصّرْتَ ولا خذلتَ، فما كان منهُ إلا أنْ قال بتواضع وحياء " الحمدُ لله " ولم يَزدْ، ثمّ طلبتُ منه أنْ يبقى معنا في الجولان فوافقَ الرّجل، بل ورَحّبَ بذلك، واستمرّت المعركة، وفي كلّ مرّة يُثْبتُ الرّجل أنّه رجلُ المواقف، ومع ذلكَ

قال لي يوماً وبالحرف الواحد: " سبحان الله يا أخي لمّا أرى أبا ناصر جانبي في الضّرب أو الصّف والله أطمئن ".

فحملتُ الكلمة إلى أبي ناصر، تشجيعاً، وثانياً، ليعلمَ الرّجل أنّ أبا محمّد يُحبّه، فقال: سبحان الله إنّي والله في نفسي ما في نفسه، ولستُ أشكّ أنّه أشجعُ مني. ثم فاتحتُ أبا محمّد في الانضمام والبيعة، فقال أنا جنديٌّ مطيعٌ بلا بيعة، والبيعةُ شرفٌ ودينٌ فمرحباً بها ومن لا يتشرّف بذلك، ومن لا يحبّ البيعة على الموت. فوالله لقد فرحتُ به فرحاً شديداً وقلتُ في نفسي: هذا والله هو الكنز.

وانتهت الفلّوجة الأولى بالنّصر والظّفر وبدأنا مرحلة هي أصعبُ من الأولى، مرحلةُ البناء، بناءُ المدينة عسكريّاً ومن قبل إيمانيّاً، لكن أبا محمّد والحقّ يُقَال كان غيرُ مقتنع أنّ النّاس هنا جادّين في أنّ الجهاد بالنّسبة لهم ديْن، لا وطنيّة ولا قوميّة، وقد كان على حقّ بالنّسبة لعدد من ضعاف النّفوس الّذين جاءوا بعدَ المعركة وأرادوا أن يقطفوا الثّمرة على دماء الشّهداء وأطراف المعوّقين، فإنّا نعلم أنّا وجدنا من الخير في هذه البلاد ما لم نجْدُه في كثير واختارها الله لرفعة دينه وإقامة عَلَم الجهاد في أرضه.

وفي يوم من الأيّام صدرتْ الأوامر بتجهيز المجموعات والخروج إلى السّريع لقطع الطّريق على قوافل الأمريْكان، وكان أبو محمّد أميراً لإحدى هذه المجموعات، وكان ذلك خطأً فإنّ الرّجل شجاعٌ إلى حدّ التّهور لكنّه كان أيضاً حكيماً. وبالفعل استطلعَ مكانَ مجموعته وذهبَ بهم إلى أقرب مكان ممكن من العدوّ وقال للإخوة سوف نبدأ الضّرب من هذا المكان وعلى طريقة رأس السّهم تقدّمٌ وانبطاحٌ وحتى الوصول إلى الهدف. وإن جاءت الأوامر بالانحياز لسبب ما، سواء أكان عطلٌ في السّلاح أو كثافةٌ في رماية العدوّ، أو عدم فعاليّة سلاحنا مع الدبّابات، فهذه حفرةٌ كبيرةٌ وعميقةٌ

انسحبوا إليها، فإذا دخلنا فيها لا يرانا العدوّ وبعدها نأخذ الخطوة الثّانية وهكذا حتى يأمنهم.

و بالفعل تمّ التقدّم وتقدّمَ أبو محمّد حتى أرهقَ العدو، وفي زحمة مشاغلته وإطلاقه عليهم التفّت عليهم الدبّابات فأمر بالانحياز وانحازَ هو ومن معهُ إلى الحفرة، وحَمَدوا اللهَ على السّلامة، فلما عملَ تعداداً لإخوانه، وجدَ أن اثنان منهما لم يعودا، فرجعَ ليبحثَ عنهُم وحاولَ الإخوة إقناعه بعَدَم الذّهاب فالعدوّ أمامه، لكنّه رفضَ بشدّة وأبى إلا أن يذهبَ ليبحثَ عن إخوانه، غير أنّ أبا محمّد ذهبَ و لم يَعُد، نعم لم يَعُد إلى يومنا هذا و لم ألتق به، ولعلّي ألتقي به في دار خيرٌ من دارنا وفي أمن بعد خوف، فالله أرحمُ الراحمين.

وبعد انتهاء المعركة، بدأنا بالبحث عن الإخوة فوجدنا الأَخَوَيْن اللّذَيْن ذهبَ يبحث عنهما أبو محمّد شهيدين- نحسبهم كذلك -، ولكن أبا محمّد لم نَرَه، وبحثنا وبحثنا، و لم نعثرْ له على أَثَر، فغلبَ على ظنّي أنّه أُسر لكنه وبعد خمسة أيّام وجدنا أبا محمّد تحت أبراج العدوّ المنسحب، فعرفنا أنّ الرّجل تقدّمَ حتى اقتحم على العدوّ لّما لم يَرَ إخوانه، ثم استشهد رحمهُ الله فوالله ما تغيّر جسمهُ ولا لونهُ ولا رائحتهُ قيد أنملة على الرّغم من طول المُدّة وشدّة الحر.

وكتبه

أبو اسماعيل المهاجر